مجلة الحكمة للدراسات التربوية و النفسة ISSN : 2353-0502
المجلد2 ، العدد4، (جوان2014) EISSN : 2602-5248

معوقات البيداغوجيا في الجامعة الجزائرية

د.مساك أمينة أ.تابتروكية فاطمة
جامعة "علي لونيسي" –البليدة 02-

ملخص:

تعتبر العملية التربوية متشعبة ومتعددة الأبعاد، ومن المستحيل فهم عملية التعليم إذا ما حصرناها في قضايا المحتويات وطرق تبليغها، فالعلاقة التي تربط الأستاذ بالطالب مثلا تتعدى العملية الظاهرة لإيصال المعلومات لتندرج في إطار نسق واسع من العلاقات، ينطلق من مقاعد الدراسة ليربط هذا الأخير بالمجتمع والثقافة والقيم الحضارية السائدة.

وتدخل هذه العلاقات في إطار التفاعل التربوي والتعليمي داخل الجامعة وبين جوانبها المختلفة وفق عدد كبير من العوامل والمتغيرات، كما تتم أيضاً حسب العلاقة بين نسق الأدوار والمواقف القائمة بين الأساتذة والطلاب والإداريين وجماعة الاتصال. حيث ترتبط كيفية إيصال المعلومة والإستفادة منها بالنوعية العلمية والبيداغوجية للأساتذة، لأن لإيصال المعرفة أهمية بالغة يقوم فيها الأستاذ بدور كبير باعتباره عاملاً للتغيير الاجتماعي من خلال دوره سواء في تكوين الإطارات المستقبلية أو إنتاج الأفكار.

وعليه سوف يتطرق هذا المقال إلى مفهوم البيداغوجيا في التعليم العالي من خلال التطرق إلى معوقات الممارسة البيداغوجية في هذا النسق إنطلاقًا من:

-اعتبار البيداغوجيا من أهم متطلبات مهمة التعليم في النسق الجامعي.

-العلاقة بين الأستاذ والطالب من خلال العملية التكوينية.

-متطلبات النشاط البيداغوجي للأستاذ الجامعي وانعكاسات كفاءته العلمية على الطلبة.

وذلك إنطلاقا من ملاحظات لدراسات سابقة حول البيداغوجيا في التعليم العالي.

ISSN : 2353-0502
EISSN : 2602-5248

الكلمات المفتاحية:

العملية التربوية، التفاعل التربوي، الجامعة، الأستاذ الجامعي، الطالب الجامعي، الممارسات، البيداغوجيا، المعوقات البيداعوجية، المحتويات التعليمية.

Résumé:

L'activité éducative est diversifiée et multidimensionnelle. Si on cerne les questions des contenus et les méthodes de les exposés, l'enseignement devient incompréhensible, en exemple, la relation qui lie l'enseignant et l'étudiant dépasse le fait apparent de transmettre des données, pour s'inscrire dans un vaste système des relations à l'amont des sièges des études et lie ce système avec la société, sa culture, les normes et valeurs en vigueur.

Ces relations s'intègrent dans le cadre des interactions éducatives et de l'enseignement à l'université et ses domaines selon plusieurs facteurs et variables. Elles sont aussi issues selon la relation entre le système des rôles et les positions entre les enseignants, les étudiants, les administrateurs et le groupe de communication. Ou se relie la façon de transmettre l'information et en tirer des bénéfices avec la qualité scientifique et pédagogique des enseignants vue que le transfert du savoir a une importance vitale dans lequel l'enseignant joue un grand rôle en formation du future cadre et la production des idées.

Pour cela cet article cite le concept de la pédagogie à l'enseignement supérieur d'après les obstacles pédagogiques de ce système en insistant sur:

- La pédagogie comme critère important dans l'enseignement supérieur.
- La relation entre l'enseignant et l'étudiant dans le processus de l'enseignement.
- Les besoins de l'activité pédagogique de l'enseignant du supérieur et l'influence de ces compétences scientifiques sur les étudiants.

Et ceci d'après des remarques issues d'études précédentes sur la pédagogie à l'enseignement supérieur.

تمهيد:

شهدت الجامعة الجزائرية نموا معتبرا من حيث توسع شبكة المؤسسات الجامعية، تزايد عدد الطلبة والخريجين وتنوع فروع التكوين والتخصصات وبرامج البحث العلمي بما يخدم انفتاحها على التطورات العالمية، ومع هذا التطور الكمي لا تزال الاختلالات مطروحة في جانب النوعية، نظرا لعدم احترام معايير النشاط الأكاديمي وعدم التحكم في سيرورة تحسين أدائه، في إطار العالم المتغير. ممّا يؤثر على المصداقية البيداغوجية والعلمية للجامعة حتى تضمن مكانتها ومشروعيتها، لأن العلاقة بين المجتمع وبينها حتمية وضرورية في إطار التأثير والتأثر عبر التفاعل المستمر سواء كان مباشرا من خلال البرامج الأكاديمية التي تقدمها الجامعة الجزائرية أو غير مباشر انطلاقا من العنصر المحرك للعملية التعليمية في تفاعله مع المحيط الخارجي لها مع الأفراد أو المؤسسات.

وانطلاقا من هذه الثنائية نجد أن العلاقة بين هذين النسقين تتوقف إلى حد كبير على الدور الذي يقدمه الأستاذ الجامعي من خلال مساهماته المختلفة داخل الإطار الجامعي وخارجه، فالمجتمع يحتاج إلى ما تقدمه له الجامعة. حيث لا تستطيع إفادته من دون أساتذة متمرسين يطبعون صورتها داخله ويعززون مكانتها ضمنه، وعليه يطرح هذا المقال مشكلة البيداغوجيا في التعليم العالي في الجزائر وما تفرزه من معوقات تمنع من تحقيق أهداف الجامعة الجزائرية.

أهمية التكوين البيداغوجي للأستاذ في التعليم العالي:

يعتبر الأستاذ حجر الزاوية في العملية التعليمية، فهو في مركز منظومتها، والصلة المباشرة في تحقيق الأهداف التربوية من خلال الطلبة، وهو المستخدم للإمكانيات التعليمية ومسخّرها في خدمة هذه العملية. فمهما بلغ مستوى الخطط التربوية وتحديد أهدافها من طموح، ومهما بلغ وضع السياسات التربوية والخطط المنبثقة عنها من أحكام، فإن الأستاذ هو المسؤول المباشر والعامل الحاسم في تنفيذ هذه السياسات ونجاح مخططاتها. ولهذا كان من الأولى الاهتمام به عند الشروع في أي تطوير أو إصلاح في العملية التعليمية.

وبهذا، يُعتبر إعداد الأستاذ للقيام بعمله على جانب من الأهمية، إذ ينبغي أن يُعد إعدادا مهنيا، فنيا، وظيفيا، ثقافيا ونفسيا... حتى يتمكن من ذلك. فإجادته لمادة تخصصه وسعة أفقه وعمق إدراكه للأمور وذكاء عقله ونضج فكره وحسن تصرفه ورحابة صدره واتزانه النفسي وقدوته الحسنة للآخرين لاسيما طلبته، ثم زيادة معلوماته

وتحديثها وفهمه لطبيعة عمله والتعرف على كيفية مسايرة المستجدات،... كل هذا يُبرز بوضوح أهمية إعداده إعدادا متكاملا، كما يبين مدى أهمية مهنة التعليم وكذا أهمية من يقومون بها، ومدى فعالية الأستاذ في مجتمعه، الذي يتفق العلماء على أنه العنصر الأساسي الذي لا يمكن بدونه لأي نظام تربوي أن يؤدي دوره على أكمل وجه، فهو العمود الفقري للتعليم. حيث يستطيع أن يعوض النقص الموجود في النواحي الأخرى.

ومن الملاحظ أن التعليم عموما ولاسيما إعداد الأستاذ لم يقوما على تخطيط شامل يضمن لهما الوضوح في التفصيلات والجزئيات والوحدة في الاتجاهات. ومن ذلك أن التوسع في التعليم على شتى المستويات كان أسرع من التوسع في معاهد إعداد الأساتذة وكليات التربية، ومن ثمة عجزت هذه المعاهد والكليات عن الإجابة على متطلبات التوسع.[1] ففي عصر التقدم التكنولوجي، يتطلب البدء بتغيير اتجاهات الأستاذ تجاه التكنولوجيا وتطبيقاتها وإعداده وتدريبه على تعلم التقنيات المتعددة، ولم تتوصل بعد الأقطار العربية إلى وضع فلسفة على مستوى الوطن كله. ذلك أن الفلسفة التربوية تعني بالدرجة الأولى "تكوين وجهة نظر متسقة عن الإنسان محور العملية التربوية مربيا ومتربيا، وعن الكون الذي يشكل الإنسان جزء منه، وعن المجتمع الذي ينشأ الفرد ويتهيأ للاندماج فيه والقيام بمسؤولياته، وعن المعرفة التي يستطيع الإنسان تحصيلها والسبيل الذي يسلكه إليها، وعن القيم التي تستند إليها العملية التربوية والتي تعمل التربية على تكوينها."[2] وقد عملت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على محاولة سد هذا النقص فضمنت "إستراتيجية تطوير التربية العربية" مبادئ يمكن الاستناد عليها في وضع فلسفة التربية المرجوة انطلاقا من نظرة متكاملة للإنسان العربي من حيث وحدة شخصيته وتفرّدها وما ينجر عن ذلك من خصوصية ومن حيث تفاعله مع مجتمعه وأصالته وسعيه إلى التجديد.[3] وهذا من أجل تضمّن عمليات إعداد الأستاذ العربي الجديد وتدريبه على استيعاب متطلبات العصر وخصائصه وتقدير أهمية

---

[1] - بدر سعيد الأغبري، نظام التعليم في الجمهورية اليمنية (مجموعة دراسات النظام التربوي والتعليمي). صنعاء: دار اقرأ للنشر والتوزيع، 1993، ص 261.

[2] - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إستراتيجية تطوير التربية العربية، 1979، ص ص 225، 239.

[3] - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أنماط التعليم العالي في الوطن العربي. دمشق: المركز العربي لبحوث التعليم العالي، 1986، ص 97.

التقدم والثورة العلمية والتكنولوجية في إطار التراث الخاص بمجتمعاتنا وقيمنا الأصيلة.

وعلى هذا فإن إعداد أساتذة المستقبل يعتبر بالغا في الأهمية لأننا مهما تحدّثنا عن تطوير التعليم، فإن الأستاذ الجيد يمثل دائما شرطا أساسيا فيه، فقد تضعف أحسن المناهج الدراسية على يد أستاذ لا يقدر على تدريسها، وقد تضفى القوة إلى المنهج الضعيف إذا وجد أستاذا قديرا، ومن هنا يمكن لنا أن نتصور أهمية إعداد الأستاذ إعدادا جيدا. وعلى الرغم من التأكيد على أهمية وجود ميول واستعدادات خاصة بالأستاذ، إلا أن هذا لا ينفي ضرورة وأهمية الإعداد والتدريب لصقل هذه القدرات النظرية والاستعدادات التعليمية حتى تصل إلى أعلى مستوى ممكن من الكفاءة المهنية. فلم يعد دور الأستاذ مقتصرا على نقل المعلومات فحسب، بل ترى التربية الحديثة أن طبيعة العملية التعليمية تستلزم قيامه بتنظيم البيئة التعليمية بما فيها من عناصر وبدائل وقرارات وتنسيقها وإدارتها وتخطيط العمل التعليمي، وتشجيع المتعلمين على الاستقلالية إضافة إلى العمل مع الآخرين بروح الفريق، ويندرج هذا كله في إطار التكوين البيداغوجي للأستاذ.

وإذا كانت العملية التعليمية تشتمل على الطالب، المعلّم، المنهج، الإدارة، الأنشطة والوسائل التعليمية، فإن الأستاذ هو من أهم هذه العناصر على الإطلاق، لأنه بشخصيته وطريقته يؤثر على بقية العناصر الأخرى باعتباره حجر الزاوية في العملية التربوية...، ويمكن إرجاع هذه الأهمية إلى فعالية الأدوار التي يقوم بها، من حيث كونه مُوجّها لطلبته ولعملية التعليم والتعلم وناقلا للإرث الثقافي، وعضوا في الهيئة الجامعية ومواطنا في المجتمع الذي ينتمي إليه ومشاركا في رسم السياسة التعليمية. ولهذا فإن الدول على اختلاف فلسفاتها وأهدافها ونظمها الاقتصادية والاجتماعية... تولي مهنة التعليم والارتقاء بالأستاذ وتكوينه بيداغوجيا جل اهتمامها وعنايتها. "ومهما أنفقت الدولة على مؤسساتها التعليمية فهيّأت لها أحسن المباني وأفضل المناهج والمراجع وأحدث الوسائل والتقنيات، فتبقى كل هذه الوسائل غير فعالة بدون الأستاذ الكفء، الذي يجعل من كل هذه الإمكانات أدوات تستثمر على أحسن وجه في تعليم الأجيال، وإذا ما أحسن إعداد الأستاذ أولا فذلك يؤثر على أجيال من الطلبة".[1]

[1] - بدر سعيد الأغبري، المرجع السابق، ص 263.

البيداغوجيا في التعليم العالي الجزائري:

يشرح المهتمون بقضايا التعليم الخلل الذي تعاني منه الجامعات الجزائرية وكذا انخفاض مستوى الطلبة بالتركيز على أسباب خارجية كقلة الوسائل وتضخم عدد الطلبة، وضعف التعليم الثانوي... مهملين بذلك تأثير العوامل الداخلية المرتبطة بالعملية التعليمية ذاتها والتي يُرجعها" محمود بوسنة"[1] إلى عدم فعالية النشاطات البيداغوجية المسطرة في هذا المجال وإجراءات التقويم المرافقة لها والنقص في التكوين البيداغوجي للأساتذة... فأي تنظيم جامعي فعال ينطوي على عقد بيداغوجي بين الأستاذ والطالب، فيلتزم كل طرف منهما بقواعده في إطار الأدوار المحتملة على أساس الاقتناع، والعديد من الإجراءات التقويمية، وبهذا فقط يتم إحداث الجو التنظيمي المناسب سواء لإنتاج ونشر المعرفة أو لاكتسابها والتمكن منها.

وبهذا فالبيداغوجيا في التعليم العالي تتمثل في النشاطات المتصلة بالعقد البيداغوجي أي متطلبات التعليم والإشراف بالنسبة للأستاذ، ومتطلبات التحصيل بالنسبة للطالب، تضاف إليها مختلف القضايا التي قد تؤثر على مردودية مؤسسات التعليم العالي مثل البرامج ومراجعتها والتوجيه والوسائل... ومن هنا تبرز العلاقة بين الأستاذ والطالب.

وإذا ما جسدنا فكرة البيداغوجيا في التعليم العالي الخاص بالمجتمع الجزائري نلتمس ما توصلت إليه أشغال الملتقى[2] المنعقد من طرف مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية في إطار تشخيص المشاكل البيداغوجية باعتبار أن التكوين من أبرز مهام الجامعة، لتبيين مدى تأثيره على فعالية التعليم العالي، وبالتالي التمكن من إحداث إصلاح في هذا القطاع، ـإذ أكد وزير التعليم العالي والبحث العلمي* أن مردودية الجامعة متواضعة جدا، فنسبة الرسوب مرتفعة لاسيما في الجذوع المشتركة، ونسبة المتخرجين ثابتة (مقدرة بـ 10,3% - 10,5%) وزمن مكوث الطلبة في الجامعة كبيرة تقدر بـ 7

---

[1] - محمود بوسنة، " من أجل تثمين النشاطات البيداغوجية في مؤسسات التعليم العالي" عن: Les cahiers du CREAD, n° 59/60. 1er et 2eme trimestre, 2002 : formation pédagogique et pratiques d'enseignement dans le supérieur, problématique, état des lieux et expériences. Actes du colloque organisé du 5 au 6 mai 2001 à Alger, p 1.

[2] - ملتقى دولي حول التكوين البيداغوجي والتعليمي لأســـاتذة التعليم العالي، أنباء الجامعة، العدد 167، 6/5 ماي 2001، ص 10.

* السيد " عمار صخري" آنذاك.

سنوات تقريبا، مما يجعل التخوف من الدخول الجامعي كل سنة أمرا واقعا. إلا أن الاصلاحات التي مست هذا القطاع في إطار تطبيق الهندسة الجديدة المعبر عنها بنظام الـ LMD قد عدلت من هذه النسب وقلصت مدة التكوين الجامعي ـ، حيث تناولت مسألة البيداغوجيا في التعليم الجامعي، نموذج تعليم البيداغوجيا في الحضارات العربية الإسلامية. إذ أكد "ياسين فرفارا" مدير الـ"CREAD" ـ أنذاك ـ في مداخلته أن تكوين أساتذة التعليم العالي يشكو من مشاكل وتناقضات كبيرة. إذ نجد تدريسا بدون تكوين، فكيف يمكن أن ننقل العلم في ظل غياب الطرق البيداغوجية الفعالة. في حين أكدت " مليكة تفياني" عدم إمتلاكنا تقليدا أو طريقة احترافية في البيداغوجيا في الوقت الحالي. وأبرز "محمود بوسنة" من خلال دراسته حول تثمين النشاطات البيداغوجية في مؤسسات التعليم العالي طبيعة المشاكل البيداغوجية ومدى تأثيرها على فعالية التعليم العالي، مؤكدا على ضرورة تثمين النشاطات البيداغوجية المتصلة بالعقد البيداغوجي الذي يربط الأستاذ والطالب، وقد أرجع أغلب المتدخلين الخلل الذي تعاني منه الجامعة الجزائرية إلى نقص التكوين البيداغوجي للأساتذة.

البيداغوجيا من أهم متطلبات مهنة التعليم:

تعتبر مهنة التعليم في مختلف الأطوار من أصعب المهن، حيث تتطلب قدرات ثقافية كبيرة، وكفاءات مهنية، إضافة إلى حسن الاتصال والعلاقات الإنسانية. لكن إذا ما أتينا للتطبيق، نجد أن التوظيف لا يخضع لهذه القواعد الرئيسية، ويبقى العنصر الوحيد المهم متمثل في الشهادة التي يملكها المترشح. فإذا كان التعليم في الأطوار الابتدائية والمتوسطة مرتبطا بتنقيط المعلم من طرف المفتشين، مما يُظهر نوعا من المتابعة والتقييم، نجد أنه في التعليم العالي عكس ذلك فالأستاذ يتصرف كمعلم وتتم ترقيته انطلاقا من مجهوداته العلمية وحيازته على الدرجات الأكاديمية ... حيث يتعلم الأستاذ هنا المهنة على الحالة في الواقع، بدون أي تكوين بيداغوجي أولي، ولا أحد يتابع تقدمه من الناحية العلمية (بغض النظر على الإمضاءات اليومية التي لا تعطي تقييما فعليا للمهنة فقد يمضي الأستاذ ثم لا يقوم بدرسه، كما أنه قد يكون حاضرا لكن لا يقدم المطلوب منه).

ويعطي "عيسى بن صديق" فكرة أسماها بتقاليد المهنة في البلدان المتقدمة والتي تنص على أفضل وأحسن مساعدة للطلاب المسجلين في الأطروحات ليخلفوا البروفيسور في المخبر والقسم. إذ يعطي هذا الأخير رأيه النهائي لقبول المترشحين لمنصب الأستاذ الجامعي الذي يجد في خطواته الأولى كأستاذ مشاركة فعلية وحقيقية ومساعدة من طرفه ومحيطه، وتعتبر هذه النقطة مهمة جدا في عملية التوظيف، حيث اختفت تماما عندنا، أين يجد

المترشح الجديد نفسه في مواجهة حالة صعبة، مميزة أساسا بغياب التوجيه البيداغوجي في نقل المعارف. وحتى لجنة التوظيف غالبا ما تكون مكونة من إداريين لا علاقة لهم بالتعليم، فيُوظّف الأستاذ حسب الشهادة، لكنه لا يتلقّى أي تكوين بيداغوجي أو دياليكتيكي لازم لممارسة المهنة التي يواجه ما تطرحه فيها متغيرات الواقع بطريقة جبرية، وقلّما يجد برنامجا للتكوين ويُكلّف بالقيام بمحاضرات وتأطير الطلبة دون سابق خبرة. وتُحمله هذه الحالة الكثير من المصاعب وعدم الثقة التي تؤثر على نوعية التكوين ومستقبل المهنة التي تتطلب أيضا الاعتراف بقيم العمل والتعامل على أساسها، "لكننا نجد أن قيمة عمل الأساتذة غير معترف بها لا من طرف نظام الترقية ولا من طرف الظروف المادية للعمل ولا من خلال أنماط الزيادة في المشوار المهني، وتختلط أحيانا بين الأقدمية والأحقية مما يجعل نتائجها عشوائية حيث لم يعد النسق يعترف بتقييم الأساتذة"[1].

ومن هنا فالأستاذ في الجامعة لا يتحصل على أي تكوين بيداغوجي رسمي مثل ما هو معمول به في العديد من المجتمعات وتؤكد الدراسة التي قدمها مخبر "التربية- التكوين- العمل" حول البيداغوجيا في التعليم العالي هذه الفكرة باعتبار أن التكوين القائم يتم بصورة غير رسمية، عن طريق اكتساب نوعا من التجربة البيداغوجية من خلال الممارسة الفعلية للتدريس. فهناك العديد من الأساتذة يجهلون مفهوم البيداغوجيا في التعليم معتقدين أن كل أستاذ متمكن من مادة معينة يستطيع تدريسها، لكن البيداغوجيا لا تتعلق بنوعية المعلومات بقدر ما تتعلق بطريقة إيصالها إلى الطلبة حتى يفهمونها ومن هنا عليه أن يكون على دراية باختلافاتهم وتباين قدراتهم على التحصيل. ويتفق الباحثون في هذا المجال على أن البيداغوجيا تعتبر محددا حاسما لفعالية التدريس، فالعديد من الأساتذة يملكون درجات عليا وملمين بكل ما يتعلق بتخصصهم لكنهم يعجزون عن إيصال المعلومات لطلبتهم. "فالنموذج البيداغوجي المعتمد في تقديم الدروس من طرف أغلبية الأساتذة في الجامعة الجزائرية يعتبر تقليديا، حيث يقوم الأستاذ بإلقاء درسه على شكل محاضرة ويملي أحيانا بعض الفقرات التي يراها مهمة، وفي المقابل نجد الطالب يستمع ويسجل رؤوس أقلام حول ما فهمه، فالأستاذ يعتبر نفسه وسيطا بين المعارف والقيم من جهة والطلبة من جهة أخرى وبين الطلبة ومصادر التعلم"[2].

دور البيداغوجيا في تحديد نوعية العلاقة بين الأستاذ والطالب:

---

[1]- Pierre DELAMINAT, « question à l'éducation nationale, regards sur l'actualité ». In la documentation Française, n° 149, mars 1989, p 42.

[2] - محمود بوسنة، المرجع السابق، ص 162.

تتشكل هذه العلاقة في إطار العلاقات التربوية باعتبارها مضمون التفاعل التربوي، حيث تعبر هذه العلاقة التربوية التعليمية على "نمط معياري للسلوك الذي يحقق التواصل التربوي بين الطلبة والأساتذة والمقررات والإدارة والمعايير والقيم بوصفها عوامل مكونة للنظام التعليمي."[1] لكن سيتم التركيز في هذا العنصر على العلاقة بين الأستاذ والطالب فقط انطلاقا من أن طبيعة العلاقة بينهما تتحدد من خلال التكوين البيداغوجي لكل منهما والممارسة الفعلية لها. فإذا كانت المؤسسة الجامعية تحتاج لأداء وظيفتها إلى خلفية تربوية وتنظيمية تتميز بالمرونة، والقابلية للتطور، ومراعاة البعد الإنساني في العلاقات الاجتماعية، فإن الطرف الأكثر أهمية هو بدون شك هيئة التدريس بمختلف فئاتها. فالجامعة لا تضع الخبرة بواسطة الهيكل الإداري والتشريعات فحسب، بل عليها أن تجمع في مدرجاتها ومخابرها عددا من الأساتذة والباحثين الذين لا يكتفون بتلقين طلابهم كمّا من المعلومات المعروفة سابقا في الكتب والأسفار، أو بمجرد نقل الخبرة الموجودة في البلاد الأجنبية. ولكنهم يتعاونون معهم على اكتشاف الطريق الأمثل لاستخدام تلك المعلومات وتمثُّلها وإعادة صياغتها وتطويرها وفق معطيات الواقع المحلي، فالأستاذ كما يرى "جون ديوي" هو ذلك الذي يعلم طلابه استخدام الآلة العلمية، وليس الذي يتعلم بالنيابة عنهم. وهو الذي يشترك مع طلابه في تحقيق نمو ذاتي يصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة[2]. حيث تعتبر هذه العلاقة في إطار التفاعل التربوي والتعليمي صورة حية للتفاعل الاجتماعي الذي يجري في إطار الحياة الاجتماعية ويتجلى هذا التفاعل في الجامعة "في نسق العمليات التي يرتبط عبرها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقليا ودافعيا في مستوى الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف"[3].

وبهذا، على الأستاذ أن يتفاعل مع طلبته حتى يتمكن من معرفة خصائص كل منهم وأسلوبه في الإدراك والعمل، حتى يتسنى للطالب التفكير بفعالية ومزج الأفكار ووصلها ببعضها البعض والاعتماد على الفهم، وعليه أيضا السماح للطلبة بالتعبير، لأن التفكير في حد ذاته لا يمكن تعليمه، مما يجعل العملية التربوية والتعليمية تزود الأفراد عموما بمختلف المهارات الفكرية، حتى يتمكنوا من استعمال ذكائهم وقدراتهم في التأهل إلى أقصى حد ممكن وحتى يتسنى لهم تنمية نموذجهم الخاص في التفاعل مع الظواهر المحيطة بهم

[1] - علي وطفة، "التفاعل التربوي بين الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية: دراسة مقارنة بين جامعتي الكويت ودمشق". المجلة التربوية لجامعة الكويت، عدد 27، ربيع 1993، ص25.

[2]- Jean DEWEY, the school and the society and the child and the curriculum university. Chicago, 1956, p 125.

[3] - حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب، 1982، ص 96.

بطريقة مرنة حتى يتمكنوا من التعديل، التغيير، الإضافة والحذف حسب كل حالة. وكلما كانت العلاقة بين الأستاذ والطالب متينة وإنسانية كانت العملية التربوية أكثر نجاحا وفعالية، تُمكّنهما من الاتصال، فيصبح الأستاذ مهتما بالطلبة وبأنشطتهم وقادرا على إثارتهم وتدعيمهم، ومن ثمة مساعدتهم على اكتساب الأساليب والمهارات التي تمكنهم من الحصول على المعرفة بإمكانياتهم الخاصة، ولن يتم هذا إلا بتفهم الأستاذ لطبيعة المتعلم وكذا طبيعة المادة وطبيعة عملية التعليم في حد ذاتها.

وتتمثل صعوبة دور الأستاذ في عملية التفكير أن يساعد الطلبة بطريقة لا يسرق منهم من خلالها متعة المخاطرة في التفكير الحر، من جهة، ومن جهة أخرى لا يتركهم وحدهم بل يوجههم، فالأستاذ مطالب بتحقيق هذا التوازن حتى يكون قادرا على التوجيه دون التدخل في مدى تقدّمهم. وتجاهل دور الطالب والأستاذ يجعل منهم دمى تتحرك بخيوط غير مرئية على مسرح العملية التعليمية، وقد سيطرت على عقولهم المعلومات الجاهزة وطُمست إمكانياتهم في الخلق والإبداع[1].

وانطلاقا من هذه العلاقة يهدف التعليم إلى تقديم البرنامج الرسمي المقرر سنويا للطلبة، ثم محاولة معرفة درجة استيعابهم له عن طريق الامتحانات في مختلف المستويات التعليمية، وللأستاذ دور كبير في هذه العملية من خلال الممارسة البيداغوجية، حيث يحضر الدروس ويُلقيها ويختار الأسئلة ويقوم بتقويم الإجابة عنها، مما يجعله متحكما في مختلف أطوار هذه العملية. حيث يغلب هنا على علاقة الطالب بالأستاذ الطابع الرسمي، رغم محاولات بعض الأساتذة في إشراك الطلبة في إلقاء الدرس عن طريق طرح الأسئلة، وتبقى الطريقة السائدة في التعليم هي الطريقة التقليدية بما لها من آثار سلبية على الطالب. حيث يُلقن هذا الأخير معلومات بطريقة تدريجية، وفي كثير من الأحيان يكون تعليم الأستاذ بناءا على قاعدة علمية يُفترض وجودها لدى الطلبة وتصور استيعابهم للمواضيع المدروسة. إلا أنه غالبا ما يختلف تصور الأستاذ عن واقع الطلبة مما يؤدي إلى نقص فعالية التعليم وزيادة صعوبة الفهم، كما أن أساليب التدريس واستغلال الشهادات وطموحات الطلبة بعد التخرج تكون قبل التحصيل، حيث أصبحت الشهادة تحدد المكانة الاجتماعية للطالب، ولم يصبح التحصيل بهدف اكتساب إمكانيات علمية، بقدر ما يهدف إلى النجاح الاجتماعي، فالتعليم نادرا ما يكون لحد ذاته، وإنما يكون الهدف منه تحقيق شيئا أخر[2]. وندخل هنا أهمية طرق التدريس التي تحمل معنيين، "يُقصد بأولهما توصيل المعلومات،

[1] - أحمد علي الفنيش، التربية الاستقصائية. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1975، ص 100.
[2] - بوفلجة غياث، التربية ومتطلباتها. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص 66.

بينما يقصد الثاني اكتساب المعلومات مضاف إليها وجهات نظر وعادات في التفكير وغيرهما"[1]، كما أنها تمثل أيضا "إعداد للخطوات اللازمة لعمل شيء من الأشياء"[2]

متطلبات النشاط البيداغوجي للأستاذ:

يعتبر الأستاذ العمود الفقري الذي لا غنى عنه في إنجاز العملية التعليمية والتربوية وصياغتها بطريقة مناسبة للطلبة، بحيث تنتج أحسن النتائج وأقومها بتثقيف العقول وتشكيل المواطن الكفء[3]. كما أنه صاحب قرار يفهم طلبته ويتفهمهم، قادر على إعادة صياغة المادة الدراسية وتشكيلها بشكل يسهل استيعابها، يعرف ماذا يعمل ومتى يعمل[4]. ويتبين هنا دوره تجاه الطالب، فمهما كان مستوى هذا الأخير، يتوجب على الأستاذ تقديم المعرفة له والتأكد من فهمه لمحتوى المادة التي يدرسها، وإن لم يحدث ذلك عليه مراجعة البيداغوجيا التي استعملها، والتي لم تكن فعالة (في هذه الحالة) في خلق الشروط الجيدة لحدوث عملية التعلم. ويطرح "محمود بوسنة" في الدراسة المدرجة سابقا تصورا مقلقا لدى الجامعيين والمشرفين على التعليم مفاده أنه ليس للبيداغوجيا معنى في المستويات العليا من التعليم، باعتبار أن الباحث الجيد هو بالضرورة مكون جيد، مما أدى إلى انتشار تصورات متحيزة عند العديد من الأساتذة حول مهامهم من جهة، وحول ضعف مستوى الطلبة في المادة التي يشرفون عنها من جهة أخرى. فيرجعون ذلك إلى التكوين غير الجيد في المستوى الثانوي، انخفاض الدافعية عند الطلبة، وكذا عدم فعالية إجراءات الاختيار المعتمدة للتسجيل في السنة الأولى جامعي. ونادرا ما يتساءلون عن مدى مسؤولياتهم عن هذه النتائج السلبية، وينهون تقويمهم لهم بمجرد الإعلان على النقاط التي تحصلوا عليها، وبالتالي فهم لا يملكون اهتماما بمعالجة الفشل التحصيلي للطلبة، أو مساعدتهم على تطوير استراتيجيات فعالة متعلقة بالتلخيص، التحليل، المراجعة، والتحضير... أو إعادة التوجيه إلى تخصصات أخرى تكون أكثر ملاءمة مع ميولهم واستعداداتهم، "لأنه من الشروط الأساسية التي يتميز بها المكون، لكي يضمن فهم الآخرين لمضمون عروضه هو التحكم في المعرفة المتصلة بالموضوع الذي يريد إيصاله إليهم أولا، وثانيا اعتماد الطريقة البيداغوجية والدياليكتية المناسبة للتقديم الجيد، مما يفرض تمتع

---

[1] - صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس. القاهرة: دار المعارف، ج 3، ط 2، 1968، ص 7.

[2] صالح عبد العزيز، التربية الحديثة، مادتها وتطبيقاتها العلمية. القاهرة: دار المعارف، ج 3، 1965، ص 44.

[3] - محمد مصطفى زيدان، الكفاية الإنتاجية للمدرس. جدة: دار الشروق، 1964، ص 85.

[4] - محمد عبد الرحيم عدس، المعلم الفاعل والتدريس الفعال. عمان: دار الفكر، ط 1، 2000، ص 35.

الأستاذ بمستوى عال في ميدان تخصصه يسمح له بإعادة بناء المعرفة المكلف بتدريسها والموجودة في العديد من المنشورات الأصلية و/أو المجلات المتخصصة بشكل يعفي الطالب من المعاناة التي يمكن أن يجدها عندما ينتقل من قراءة نص إلى قراءة نص آخر. كما يجب أن يكون لديه المهارات البيداغوجية والدياليكتية اللازمة لإيصال المعرفة بصورة جيدة، لأن التحكم في معرفة معينة لا يعني أبدا القدرة على إيصالها للآخرين"[1].

فما مدى تميز أفراد هيئة التدريس في مؤسسات التعليم العالي عندنا بهذه الشروط؟، لاسيما وأن الإمكانيات الموجهة سواء إلى التكوين المتواصل للأساتذة أو إلى توفير المجلات العلمية والكتب المتخصصة الحديثة محدودة، مع انعدام التكوين القاعدي فيما يخص البيداغوجيا والدياليكتيك فهو غير مضمون أساسا لمجموع أفراد التدريس بالتعليم العالي. بدليل عدم إدراج مقياس البيداغوجيا في ما بعد التدرج كمقياس أساسي في بعض الجامعات الجزائرية، وانحصاره على بعض تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مما ينعكس سلبا على تكوين وإعداد الأساتذة الجامعيين المستقبليين، فيصبح مفهوم البيداغوجيا مبهما لديهم وبالتالي يستحيل فيما بعد ممارسته في الحياة العملية. ونشير هنا إلى أن التغييرات القائمة في إطار نظام الـ LMD أحدثت وجها آخر للنشاط البيداغوجي الذي أخذ عدة مسميات هي" الوصاية، المرافقة البيداغوجية، المصاحبة البيداغوجية" كمهام أوكلت للأساتذة بالموازاة مع مهامهم التدريسية يتم بموجبها التكفل بالطلبة وتوجيههم وإرشادهم في إطار التفاعل الذي يتعدى الجانب الرسمي للتعليم ليشمل كافة الظروف المصاحبة له، كتلك المرتبطة بالطالب نفسه. حتى تكون الممارسة البيداغوجية للأستاذ الجامعي شاملة وملمة بكافة العوامل التي تمكنه من القيام بوظيفته الأكاديمية وتحمل مسؤوليته تجاه الطلبة وكذلك كونه حلقة وصل بين الطالب والإدارة، ينقل لها المعوقات التي يعاني منها الطالب وقد تؤثر على النتائج البيداغوجية المرتقبة. إلا أن هذا الإجراء غير متماثل في التطبيق في كافة الجامعات الجزائرية رغم كونه إجراءا إجباريا ومصاحبا لنظام الـ LMD ابتداءا من السنة الأولى للتكوين الجامعي. كما تختلف طريقة تطبيقه، ففي حين تعتمده بعض الجامعات باسم " لقاء الرفقة "، حيث يقسم الطلبة في أفواج الدراسة العادية. تعتمده جامعات أخرى باسم " الوصاية " وهو نوع من التأطير يباشره أساتذة

---

[1] - ارجع إلى ما كتب في ميدان علم النفس وعلوم التربية مثل:
- Hisrshhorn M, l'ère des enseignants. Paris : P.U.F, 1993.
- Devalay M, Peut-on former les enseignants. E.S.F. éditeur 1996.

نقلا عن محمود بوسنة، المرجع السابق، ص 3.

حسب الطلب في أفواج مصغرة لا يتعدى عدد معين من الطلبة، الذي يتغير حسب كل من عدد الأساتذة المؤطرين والطلبة الذين يفترض أن يتابعهم الأستاذ منذ سنتهم الأولى حتى تخرجهم من الجامعة. ولو يطبق هذا الإجراء بالطريقة المسطرة لها سيكون ذلك تثمينا للممارسة البيداغوجية الموكلة للأستاذ الجامعي هذا من جهة. ومن جهة أخرى نجد أن الطقوس البيداغوجية على حد قول "عيسى قادري" لازمة ليس من خلال مراحل التعقيد المتنامية للتعلم، ولكن من خلال ازدياد الكثافة النصية للاكتساب، فمثلا نحن نتعلم القرآن من السورة الصغرى إلى السورة الكبرى وليس حسب الترتيب الزمني للنزول.[1] وبهذا فإن التقدم أو التدرج من الأسهل إلى الأصعب في الحفظ يتميز بمراحل كثيرة للتعلم ويقع في مسار من التنامي ويؤسس استعدادات مكتسبة للخطية متمحورة على التخزين. فإن طرق التعليم قائمة على الإعادة وليس على الفهم ولا تعتمد على النقد وبهذا فهي لا تطور موقفا تفكيريا نقديا، ومن هنا نستقبل نظام الأمور كما هو ماثل أمامنا، وهذا الشكل التاريخي للاتصال وتلقين المعرفة قد هيكل بصفة أساسية عددا كبيرا من الفاعلين في النظام الجامعي.

ومن الناحية البيداغوجية المباشرة نجد أن أغلبية الأساتذة لا يقدمون خطة درسهم ولا أهدافه، إضافة إلى عدم التنسيق بين المحاضر والمطبق لنفس المقاييس، فيجد الطالب نفسه أمام معارف مجزّأة فاقدة للمعنى، رغم أن طريقة إيصال العلوم لهم والاستفادة منها يرتبط بالنوعية العلمية والبيداغوجية للأساتذة، لأن لإيصال المعرفة أهمية بالغة يلعب فيها الأستاذ دورا كبيرا باعتباره عاملا للتغيير الاجتماعي من خلال دوره سواء في تكوين الإطارات المستقبلية أو إنتاج الأفكار - كما ذُكر سابقا-. ومن هنا عليه التمعن في المتطلبات التي تخص مهنة التعليم حتى يوفي بشروطها الضرورية.

خاتمة:

لقد عرض هذا المقال بعض المعوقات البيداغوجية التي تعترض جملة من الأهداف المسطرة بدءا بمسار العملية التعليمية، التكوين البيداغوجي الجيد للأستاذ والطالب والتفاعل بينهما، وكذا إنتاج المعرفة التي تخدم الباحث، الجامعة والمجتمع. ولما كانت الجامعة حاليا في العالم كله سعى إلى التجديد والتطوير والتحديث لأسباب محلية وعالمية، فقد أخذت بآليات متنوعة ومتعددة لتحقيق هذا التحول.

[1]- Aissa KADRI, « Pédagogie et société ». Colloque international sur la formation pédagogique. Alger, Mai 2001.

وكان حريا بجامعتنا الخوض في هذا المسار من خلال تطبيق معايير الجودة الشاملة في التعليم العالي. لإبراز الكفاءة المعبرة عن حسن التصرف الذي يظهر من خلال الفعل المتعلق بالتكوين البيداغوجي والمهني للأساتذة الباحثين، والذي كان غائبا لمدة طويلة سواء في الجامعات أو في المدارس العليا. في الوقت الذي أضحى التكوين حاسما لاسيما للأساتذة المبتدئين في ظل تزايد أعداد الطلبة الذي استوجب التوظيف المتزايد للأساتذة الذين غالبا ما يملكون مستوى الماجستير... ومع النقص في التأطير والتذمر المستمر حول المستوى العلمي لمؤسسات التعليم العالي، وشكاوي الطلبة حول عدم قدرتهم على استيعاب ما يقدمه أغلب الأساتذة... تبرز فكرة الكفاءات البيداغوجية كونها حاسمة في عملية التكوين.

ونعتمد هنا على ما قدمه " أحمد شبشوب" في دراسته حول الكفاءات البيداغوجية في التعليم العالي التونسي، حين طرح مشكل كيفية تكوين الأساتذة من أجل ضمان تكوين مهني للأساتذة الموظفين، من خلال التساؤلات التالية:

- متى يجب ضمان التكوين البيداغوجي للأساتذة الشباب؟
- وبأي محتوى يمكن القيام بذلك؟
- وما هي المنهجية المعتمدة في ذلك؟

وعليه يتم التركيز على كل من:

-تعلم الأستاذ: ممارسة تعليم فعال، تخطيط التعليم، تقنيات التعليم، وكيفية الاتصال والتواصل مع الطلبة، كيفية تقييمهم وتعليمهم ...

-معرفة الأستاذ لطلبته وتحفيزهم[1].

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

1- أحمد شبشوب، علوم التربية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د، ت).

2- أحمد علي الفنيش، التربية الاستقصائية. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1975.

3- بدر سعيد الأغبري، نظام التعليم في الجمهورية اليمنية (مجموعة دراسات النظام التربوي والتعليمي). صنعاء: دار اقرأ للنشر والتوزيع، 1993.

[1] - حمد شبشوب، علوم التربية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د، ت).

4- بوفلجة غياث، التربية ومتطلباتها. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

5- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب، 1982.

6- صالح عبد العزيز، التربية الحديثة، مادتها وتطبيقاتها العلمية. القاهرة: دار المعارف، ج 3، 1965.

7- صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس. القاهرة: دار المعارف، ج 3، ط 2، 1968.

8-علي وطفة، "التفاعل التربوي بين الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية: دراسة مقارنة بين جامعتي الكويت ودمشق". المجلة التربوية لجامعة الكويت، عدد 27، ربيع 1993.

9- محمد عبد الرحيم عدس، المعلم الفاعل والتدريس الفعال. عمان: دار الفكر، ط 1، 2000.

10- محمد مصطفى زيدان، الكفاية الإنتاجية للمدرس. جدة: دار الشروق، 1964.

11- محمود بوسنة، " من أجل تثمين النشاطات البيداغوجية في مؤسسات التعليم العالي" عن:

Les cahiers du CRAED, n° 59/60. 1er et 2eme trimestre, 2002 : formation pédagogique et pratiques d'enseignement dans le supérieur, problématique, état des lieux et expériences. Actes du colloque organize du 5 au 6 mai 2001 à Alger.

12- ملتقى دولي حول التكوين البيداغوجي والتعليمي لأساتذة التعليم العالي، أنباء الجامعة، العدد 167، 6/5 ماي 2001.

13- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إستراتيجية تطوير التربية العربية. 1979.

14- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أنماط التعليم العالي في الوطن العربي. دمشق: المركز العربي لبحوث التعليم العالي، 1986.

المراجع الأجنبية:

1- Aissa KADRI, « Pédagogie et Société ». Colloque international sur la formation pédagogique. Alger, mai 2001.

2- Jean DEWEY, The school and the society and the child and the curriculum university. Chicago, 1956.

3- Pierre DELAMINAT, « Question à l'éducation nationale, regards sur l'actualité ». In la documentation française, n° 149, mars 1989.